وقد كان الانكليز اسبقهم الى هذا الشأن لانهم اكثر الشعوب الاوربية ميلاً الى البساطة واعتبار الجواهر دون الاعراض وهو ما يشاهد من النازلين منهم في هذه البلاد اذ يبدون دون امثالهم من الافرنج على حالات لا يهمهم فيها الجمال دون الصحة . وقد مشى نساؤهم ايضاً على هذه الطريقة حتى بدلوا كثيراً من ازيائهن واستعاضوا عنها بالبسيط المريح حتى اننا رأينا في احدى جرائد الازياء عندهم صورة فتاة انكليزية لابسة جلبابا بسيطاً كجلابيب النساء المعروفة عندنا وقد احنت رأسها علامة الشكر لفتاة مصرية مصورة امامها بالجلباب المصري المعروف وهو رسم قصد به الدلالة على فضل هذه الجلابيب البسيطة الملائمة لشروط الصحة وقد اطلق على هذا الجلباب عندهم اسم (جبة) ليبقى معروفاً بانه من ازياء العرب الدالة على البساطة وتقديم الصحة على كل شيء . ولقد كان الانكليزيات يلبسن شيئاً من هذه الجلابيب وهن في منازلهن واما الان فقد حسنت الجبة المصرية لديهن حتى اردن تحسينها مع بقائها على الوضع الاصلي والارتداء بها في كل مكان تاركات تلك الصدور والارداف والاكتاف المستعارة الى كل قليلة عقل تلبسها وكل قليل عقل يستحسن لابساتها . فاذا كانت المرأة عندنا تخشى ان لا تكون مقلدة لاحد لو ارتدت بالملابس البسيطة المريحة فهذه المرأة الانكليزية فلتقلدها فانها احسن نساء اوربا عقلاً وتدبيراً او فلتقلد لابسات الجلابيب في بلادها فان احسن امرأة اوربية قد صارت تقلدها

سمعاً وطاعة

الى حضرة الفاضلة (قارئة) صاحبة الردود علينا اكتب الان ما يزيد حضرتها عجباً فوق ما تعجبت من مقالاتي السابقة ومناظراتي معها التي كان من امرها انها ترجوني ان لا اتعرض للسب والشتم واترك الموضوع لانها تقول انها تكره ذلك (مؤكدة !) وليس كلامها عن المناظرة بل عن الكلام الخارج عن الموضوع !!!

ولكن لما اعيد فاتحة كلامها في ردها الاخير حيث تقول لاني لست اهلاً لمناظرة مثلك الخ بل لم اتعلم تعليما كافياً ... نعم ان الذكاء فطري ولكن التعليم مما يساعد الانسان الى آخر ما جاء في كلامها الافتتاحي

فاراني مضطراً بحكم الطبع ان لا اقابل هذا التنازل من حضرتها الا بالعفو والمسامحة والادب ولعل حضرتها تعفو عما فرط ان كانت تظن فينا خروجاً عن الموضوع الى ما تسميه سبا وشتما . وحيث ان هذه الفترة قد زالت فلنعد الان لما كنا فيه بعد ان ابدي ما ظهر لي من لهجتها وفكرها فاقول

يظهر ان حضرة السيدة القارئة بين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة وانها من عائلة شريفة متوسطة الثروة وليس لها اخوة ذكور وانما لها اقرباء كابناء الاعمام وغيرهم وان لها رغبة شديدة من نفسها للتعلم وهي كثيراً ما تطالع الجرائد وخصوصاً المجلات وان لها قريباً بخيلاً وان اهلها اغلبهم على عاداتنا القديمة المضرة . وبين ايام حياتها سعادة انقضى معظمها وعائد لها غيرها وهي كثيرة الاعجاب بآدابها غير راضية عن الجاهلات لا تعاشر اللئام ولا الادنياء

كثيرة الهواجس والافكار عزيزة النفس تكتب الشيء عدة مرات حتى تستقر على احسنه . تقضي اغلب ساعاتها منفردة منعزلة عن باقي اهلها . ويظهر ايضاً ان في اسمها الشريف صفة من صفات الرزانة والحكمة او هو مشتق من ذلك . وبناء عليه اقدر ان اقول ان تسرع حضرتها في الحملة علينا بما حملت ورجوعها لضد ذلك واذعانها للحق جعلني اول شاب في العالم كثير الاعجاب بهذه الاخلاق المرضية كثير الدعاء من الله ان يهب مصر نساء بهذه الاداب وهذه الاخلاق الكريمة انه على ما يشاء قدير . ولنعد للمناقشة والمناظرة فنقول

اولا نعم انا لا انفي عدم الكفاءة والتلون والسخافة عن النساء على العموم اذ لا يخفى حضرتك ان المتعلمات قليلات جداً في امة تعدادها عشرة ملايين فهن اذن في حكم النادر والنادر لا حكم له كما تقولين أليس كذلك . والا ان عارضتني فقولك شاهد عليك لما اتفقنا معاً على ان الرجال المتعلمين بمصر قليلون وقد سبق فاتفقنا على عدم تربيتهم ايضاً فكيف بالنساء . أليس هـذا حقاً ام هو تحامل ايضاً

ثانياً نعم كلام النساء المسلمات لم يخرج عن الشفتين ولم يظهر الا في الورق باسود المواد يقرأ بلا عمل . اذ كيف لا يكون ذلك وقد قلنا معاً انهن غير متعلمات وانهن جاهلات فكيف يصدق عهد الجاهل وكيف يصلح للعمل العاجز . ودليلي على هذا حتى في المتعلمات مثل حضرتك انه ما هي الفائدة التي حصلت من كتاباتي وردودك وكتاباتك وردودي وانكارك علي بعض الشيء وموافقتك في بعضه وكذلك انا . وهل ما زلت تقولين ان النساء غير متبعات العادات وان الرجال هم الذين يتبعونها فما هو رجل يشخص بجموع

هيكل الرجال المتفقين عليهم بمصر يقول اني اطلب رؤية وجه الخطيبة ويديها وانه ليس من الطبقة الدنيئة في الامة اعني من الطبقة التي اتفقنا عليها انا وحضرتك اي انه لا ينقل ما يرى ولا يفشي الاسرار فما الرأي . وهل بعد ذلك تطلبين طلباً جديداً . ام تحاولين الرفض بسبب كما تقدم من اسبابك الغير مقبولة . فان امتنعت فكفى ان تصدقي قولي بنفسك وبغير واسطة وهو ما تقدم من ان كلامكن لم يخرج عن الشفتين الخ . ويكون اذن كلام مسلمات فقط !!!

وكيف لا يكون التلون منسوب لحضرتك وهل غيرك يخاطبني ! وكيف ينسب لك ونحن نتكلم بوجه عام على تلك العادات اذن من كل وجه تجدين مخلصاً من نسبتها اليك ولكنك في اعتقادك تنسبين لنفسك ما لم اكن اقصده لك . فحاشا لله ايتها القارئة الكريمة ان اكون كما تظنين سيء الادب او خارجاً من المناظرة الي السب والشتم كما تزعمين سامحك الله . وماذا ظهر لك من خروجي عن الموضوع واستعمالي السب والاهانة . ولا يصح ان اقول ان حضرتك التي خرجت عن الموضوع ولكن بعد قولك (لست اهلاً الخ) لا بد ان التمس لك عذراً مقبولاً

وما ادخل مدافعتك عن الطبخ وغيره وكتابة خمسة اسطر في ذلك وما هو بالامر المهم أليس هذا مجرد كتابة لا غير وخروجاً عن الموضوع ام لا

وايضاً اجيب على قولك (وهل تعتقد ان بنات الاكابر) نعم يلزم ان كل من تعلمت لا (القرأة ولا الكتابة) تكون مهذبة لا تعتقد في الخرافات والا فتكونين حضرتك من هذا القبيل ولكن انت بالتأكيد بغير هذا فهن حينئذ كذلك والحكم على الاغلب لا على الاقل

اما قولك (ان التعليم ان لم يكن مقروناً بتربية حقة فلا يفيد بل ربما يضر) هذا صحيح ولا يعارض فيه غير مكابر جاهل . ولكن لماذا لم تتربَّ البنت او الولد تربية حقة صحيحة نافعة ؟ هذا سؤال عظيم مهم اذ لا يخفى انه يقودنا الى سؤالنا الاول وشكوانا الاولى التي كان مصدرها الاهل والآباء وخصوصاً الامهات واخصهن امهات العشرين سنة الماضية اللاتي يدعين ان كل من ليس بمستخدم في الحكومة لا يعد انساناً أليس كذلك . وماذنب الفتى والفتاة اذا كان اهلهما كذلك وهل يلام جاهل وهو من عائلة كبيرة او صغيرة كلا ولكن اللوم على اهله من حيث حرموه العلم وهو نافع . اما لومه فعلى غير العلم كالقتل او السرقة او السباب او الوقاحة ولكن مصدر كل ذلك الجهل فهو معذور لان اهله جهلاء لم يعتنوا بتعليمه . اكتب هذا وبين يدي احد هؤلاء من اكبر واغنى عائلة في اقليم الغربية وهو فظ غليظ القلب كله ذهب وفضة والماس وجهل وغباوة وبخل ودناءة ولؤم الى غير ذلك فلا تعارضني والدليل امامي والبرهان بجانبي

نعم تكلمت عن المسلمات في تزيين وجوههن مع علمي الاكيد ان نساء الافرنج اعظم منهن زينة وبهرجة ولكن مالي وللاجانب ونحن لا نتكلم على غير المسلمات ونعم ان الزينة لازمة للنساء والرجل ايضاً ولكل شيء يوافقه ولكن الاعتدال واجب ضروري ولكل شيء وقت فمثلا بعدان ترتب البيت وتصلح الاكل وتفعل كل لازم لبيتها فلا حرج عليها اذا تزينت ولكن هل يجوز انها لا تعرف من بيتها غير المرآة وتلك العلبة وذلك الصابون وهذا الفستان وذلك المطرز . انظري كيف يكون شكلهن وسيرهن في الطرق

العمومية ماشيات او راكبات فان كل حركة منهن تبدو ان لم تكن جالبة للفتنة فهي الفتنة بعينها . وهل تكابرين ايضاً

واجيب ايضاً على كلامك: نعم كل المسلمين الذين نسوق عليهم الحديث في كل كتاباتنا اعني العقلاء المتنورين هم متبعون لدينهم وليس لنا دخل في غير هؤلاء من الطبقة السفلى . والاولى ان تفهمي وتعتقدي اني لا اتكلم عن اي شخص من اي طبقة غير هذه الطبقة فلا تعودي ان شئت للكلام على غيرها واعلمي ان كل البحث على هذه الطبقة المتعلمة المهذبة غنية كانت ام فقيرة مصرية كانت ام غيرها ما دامت اسلامية

ثم لو فرض في بعض هؤلاء شرب الخمر فهذا ليس عادة ولكنه عصيان اذ العادة هي ما لا يستوجب العقاب والعصيان هو ما استوجب العقاب والعذاب . وشرب الخمر والسرقة وغيرهما كلها محرمات جعلها الجهلاء البسطاء السفهاء اوامر محللات فاستحقوا العقاب والعذاب

اما العادة فهي كالاعراس المصرية والمآتم مثلا وليس لهذا عقاب ولا حساب فهي اذن عادة ممكن التنحي عنها ولكن السارق تربت فيه رذيلة السرقة فصارت من طبعه فليست عادة وكذلك شارب الخمر وامثاله . ومثل الكيد في النساء ليس عادة ولكنه طبع وقال تعالى انه من كيدكن ان كيدكن عظيم . اما الجهل في الجنسين فهو عصيان غير مقبول

وجاء في الصحيح قوله صلى الله عليه وسلم . طلب العلم واجب على كل مسلم ومسلمة . وقوله أطلبوا العلم ولو في الصين . وقوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ام هل تستوي الظلمات والنور

وفي اكثر من آية ذكر هذا كقوله تعالى رب زدني علماً . فالله ونبيه

وأولياؤه وعقلاء الدهر وفلاسفته حضوا على العلم وحذروا من الجهل وشبهوا العلم بالنور والجهل بالظلام فالجاهل اذن عاص معاقب لعدم تعلمه وذنبه ابوه ووليه ونفسه اذا كبر واشتد ساعده . هنا عرفنا العادة من العصيان وليس كلاهما كالآخر بأي وجه

بقي علينا ان نقول هل الامم التي كانت قبلنا في الحياة وورأنا في العلم وتحتنا في الحضارة كانت مثلنا في جهلنا هذا ام كانت ظلمتها اشد سواداً وحلوكة من ظلمتنا . نعم . هونا في صدر الاسلام فسمت بنا البلاد وتقدمت الاوطان واسباب ذلك الحرية الشخصية في الافراد وتلك لا تكون في افراد وطن الا اذا كان دينهم مبنياً على اصول صحيحة نافعة ومناسبة لكل زمان ومكان فكانت حرية الافراد في القرون الاولى من الاسلام هي السامية بهم الى اوج العلاء والحضارة فكان كل فرد عالماً بواجباته وما عليه وما له من الحقوق . وقيل ان عمر بن الخطاب كان ماراً باحدى الطرقات فقابل اولاداً يلعبون وبينهم عبدالله بن الزبير فلما رأوه هربوا الا عبدالله فقال له عمر لماذا لم تهرب مع اصحابك فقال له يا امير المؤمنين لم اكن على ريبة فاخافك ولم تكن ظالماً فاخشى لقاءك وليست الطريق ضيقة فاوسع لك

فامة كان في ابنائها مثل هذه الحرية جديرة اذن بالتقدم والرفعة والسمو بل جديرة ان تعد في مصاف الامم الراقية معارج الحضارة والمدنية حيث ان الاسلاف خالفوا نزعات وهمزات الشيطان ولم يتتبعوا تلك العادات المضرة بل حافظوا على اوامر دينهم حتى ظهر منهم خلق اضاعوا الحق واظهروا الباطل وعصوا ربهم فشربوا الخمر وسرقوا واستحلوا المحرمات ثم جرت بهم

هذه الرذائل حتى تولدت منها امور ثانوية كالاحتفال في الموالد بدق الطبول والرقص المعبر عنه بالذكر وليس من الذكر في شيء

فحينئذ امكننا ان نصور العادة والعصيان والفرق بينهما بصورة مجسمة مجسدة واظن (وان كان بعض الظن اثم) ان ايراد هذه الكلمات احسن اثبات يدلنا ان العادة غير العصيان فالنساء اذن كما تقدم باتباعهن العادات صرن عاصيات لان عاداتهن التي يتبعنها ليست ممدوحة ولا مقبولة بل مذمومة وحينئذ فهي عصيان كشرب الخمر من الرجال

وليس الرجال الذين نقصدهم في ابحاثنا يتبعون العادات كما تقولين بل ما زلت اقول ان النساء هن المتمسكات باتباع العادات وبيان ذلك ان المرأة تغار على زوجها حتى اذا كلم امه او اخته او قريبة له ولكن اباه لا يغار اذا كلم هو امرأة ابيه او غير ذلك وليست هذه العادة الذميمة قاصرة على المسلمات بل على ما اعلم انها عند جميع نساء العالم

اما الذي يقتل آخر لان امرأته تحبه فهذا حق وعدل وليس من غيرة ولا من طبع سيئ وانما هو صون للعرض والشرف وربما لا يعاقب القاتل اذا ثبت للمحكمة انه ارتكب هذه الجريمة دفاعا عن عرضه وشرفه وهل بعد العرض شيء يحافظ عليه الانسان . واذا كان الرجل يقتل ويعرض بذلك نفسه للهلاك والقتل والدمار وشرفه للاهانة وايامه للمذلة بين والعذاب الاليم كل ذلك محافظة على المرأة لا من حيث هي امرأة ولكن من حيث هي عرضه وشرفه ومنتهى آمال حياته فكيف نلوم الرجل وكيف لا تشكره المرأة وكيف لا تساعده طول عمرها وكيف تنسب له الظلم وما ظلم غير نفسه وما فعل هذا الا لمرضاتها ومرضاة العرض والشرف خوفا من ان يتلطخ

بصبغة تسقطه من عيون اهل وطنه وتجعله مهاناً مرذولاً مشاراً اليه ببنان النقص والرذيلة طريداً من اصحابه الاشراف

اي عادة يتبعها الرجل تخالف اصول الدين . هل تلك الظواهر التي نراها من الاكابر والمعتبرين حتى من علمائنا الاعلام الذين ما اتلف الدين غير سكوتهم ولا اضاع مجدنا غير تطفلهم على ما ليس من آداب دينهم ولا من عادات بلادهم ومع كل حال فتلك امور لا يمكن الاستغناء عنها مراعاة للزمان والمكان . لا غير

اسألي العلماء هل هم راضون عن حال الامة من حيث الوجهة الدينية والطباع الاسلامية والعادات العربية . كلا انما هم يكتمون ما بصدورهم حتى تحين الفرص المناسبة فيكون منهم عمل نافع مفيد لا خارجاً عن حدود الدين ولا بعيداً عن العادات والاخلاق الاسلامية

انظري بمقياس الفكر الثاقب في الحالة الاسلامية بدار الخلافة العظمى وقولي عن الفرق بين بلاد ذاك طبعها في المحافظة على الآداب والدين والاخلاق والطباع والعادات الاسلامية اللهم الا بعض امور رسمية هي قاعدة متخذة بين الحكومات وبين بعضها وبين بلاد كمصر

اننا ولو خرجنا نوعا عن الموضوع ولكن الكلام ما زال في جوهره فلا لوم ولا عتاب ولكن ربما تعرض للانسان اثناء كتابته في موضوع ما امور لها علاقة نوعية بموضوعه فيضطر بحكم الضرورة لايرادها ما دام يرى فيها مخرجاً له يسير فيه ليخرج لنقطة تهمه كانت تتعسر عليه بغير ذلك وعلى كل حال فاني لا اشك ان سوء الظن ببعضنا مما يشمت فينا الخصوم الذين تذكرينهم ولكني لا اعلم من هم الخصوم ولا لاي سبب يكون لنا خصوم

فاننا نتكلم في امور تخص جامعتنا الاسلامية ولم نعترض لدين غيرنا ولم نتكلم عن امة غير امتنا ولا عن طباع غير طباعنا ولا غير عاداتنا فما شأن الخصوم وما اسباب خصومتهم وانا اعلم ان الانسان ما دام يعمل بقوله تعالى (قل كل يعمل على شاكلته) وقوله (ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة . الاية) فلا هناك ادنى سبب للخصومة واحب من حضرة سيدتي القارئة ان تمسك هي بدينها جيداً كما انا معتقد فيها حتى لا تظن بغيرها خصومة لها

فان ديننا الشريف ليس فيه اي شيء يشتم منه رائحة التعصب كما يقولون عنا ومن المصائب ان نفس المسلمين المدعين التمدن (الحديث) كما يقولون ينادون بمنع هذا التعصب وكفى الاجانب نيلاً لاغراضهم ان يروا مثل هؤلاء يقولون ذلك . فانا اشكرك شكراً جزيلاً على ادراكك هذا الشريف ولكن احب ان لا يكون في فكرك اي شيء يقال عنه خصوم وخصومة ولا مثل ذلك بل الكل واحد والناس جميعهم عائلة واحدة يختلف بعض افرادها باخلاق مخصوصة واعتقادات مخصوصة ولكن المعاملة العمومية واحدة للكل

تسألينني لماذا لم اصدق كلامك ولماذا لم احمله على حرية الضمير فاقول ان الذي يصدق يجب عليه القيام والتنفيذ بما يقول والا فقوله مجرد قول وعمله لا يكون الا مثل الرسم في الورق يغش الناظر بحسن اتقانه حتى يخيل له ان ذلك شيء طبيعي وهو غير ذلك وان كنت لا احمله على حرية الضمير فذلك لان حر الضمير هو الذي لا يخشى في الحق شيئاً ولكن للاسف لم ار للآن من حضرة السيدة الا مكابرة ومعاندة فاضطر طبعاً لعدم التصديق بحرية فكرها وانا بذلك معذور

هذا واني ان عدتم للبحث في الموضوع كما كنا عدت والا ان كان مجرد الحديث قول بغير عمل واحتجاج بغير حجة وكلام بغير برهان فارجو عدم مؤاخذتي ان حجبت القلم وقلت هذا اول القول وآخره والسلام

مصري مسلم

﴿ من شاعر الى شاعر ﴾

او من نقولا رزق الله الى احمد محرم

أعرت لساني هذا القلم ... يترجم عما بقلبي ألم
ويحمل عني سلاماً الى ... كريم دعوت فقال نعم
على صفحات الانيس الذي ... يحاكي بحمل سلامي النسم
الى شاعر شاردات المعاني ... اساري لالفاظه او خدم
تجوب قصائده العامرات ... سهول البلاد وتطوي الاكم
صدور الرواة مطايا لها ... ولو انصفت لامتطت كل فم
قرأت قصيدته شاكراً ... تدفق آياتها بالحكم
تبرّع فيها بمدح علي ... يدل على فضله والكرم
فقلت وقد هام قلبي بها ... لمن حاول النظم او من نظم
اذا اسهرتك القوافي فقم ... ونبه لها احمداً ثم نم

المرأة والحياة

﴿ لحضرة الكاتب الفاضل صاحب توقيع « فؤاد » ﴾

وهي تابعة لاقواله الماضية في هذا البحث

قال الحكماء ان الزواج نهاية ما يسعى اليه الشاب حين يراهق والشابة حين تبلغ الرشد . وفي ذلك من الاقوال المأثورة ما يظهر شغف الاثنين بقرب ليلة الزفاف . فترى الشاب وهو في العشرين مثلاً لا يفكر في خلواته وسكناته الا في الحصول على شريكة له توأنسه في وحدته وتؤاسيه في اكداره وتساعده على اهوال حياته الشاقة وتصون ثروته من التبديد فيما لا يفيد وربما تكون عنده فكرة اخرى هي الحصول على النسل والذرية حتى لا تضيع امواله للغير بعد مماته

ولا ريب ان المرأة هي صندوق محكم للرجل يستودعها سراً ربما لا يجسر على افشائه لابيه او امه او اخيه او اخته او لذي قرابته وهو الذي يهتم بامور المرأة فيشتغل شغل الجان والابالسة في الحيلة على العيش وهو في اشد الكروب اما من تعب الجسم في الحر والبرد ان كان فقيراً او احتمال كلمة لا تقبلها نفسه او من كبريائه وانفته عن تعب الفكر ولو بضع ساعات في اليوم ان كان من سلاطين الذهب

فالرجل ما برح من وجهة المعاش قلق الافكار كثير الهواجس لا يفارقه الفكر ولا الهم لحظة وكان قبل الزواج لا يشغل فكره بامر غير امر نفسه الا قليلاً